العقائد اللاهوتية الرئيسة للنظام اللاهوتى المسيحى

حسن نعيم آبادى*

خلاصة المقالة

النظام اللاهوتى المسيحى أكثر النظم اللاهوتية للديانات الإبراهيمية صعوبة و تشويشا؛ فقد خالف هـذا النظام، ما سبقه من النظام اللاهوتى اليهودى فى أهم عناصره اللاهويتة و نعنى به فكرة الإله الواحد كما خالف ما لحقه من النظام اللاهوتى الإسلامى على نفس الصعيد. و مـا ألـحّ عليـه المسـيح عيسـى بـن مريم عليهما السلام نفسه هو أن خرج لطلب الإصلاح فى الديانة اليهودية السائدة آنـذاک ممـا يعنـى أن الديانـة المسيحية كان من المفترض ألا تصبح ديانة ممتازة عن الديانة اليهودية؛ و لكن الحديث عن أنّـه كيـف إنقلبت الدعوة اليسوعية، الديانة المسيحية السائدة، حديث ليست الدراسـة التـى بـين يـديک تريـد أن تتناوله بالعرض و البحث. و التى تحرص عليه هذه الدراسة أن تعكـس أهـم عناصـر لاهـوت الديانـة المسيحية و هى عقيدة الإله الواحد فى إطارها التثليثى و عقيدة تجسّد الإله فـى المسـيح عليه السلام و عقيـدة الفداء؛ و أن تعدّد أيضا منطلقات عقيدة الفداء باعتبار أكثر العناصر اللاهوتية تاثيرا فـى الحيـاة الانسـان المسيحى سواء على مستوى الفرد و على مستوى المجتمع، كل ذلک وفقا لما تعترف بها الديانة هذه و كما ترتضيها.

المفردات الرئيسية

الديانة المسيحية، النظام اللاهوتى، التثليث، التجسد، الفداء، المسيح عيسى بن مريم

---

* المتخرّج من مدرسة الشهيدين رحمهما الله

المقدمة

النظام اللاهوتی المسیحی کغیره من النظم اللاهوتیة الکبری علی البسیطة مرّ بتأریخ طویل و جرّب منعطفات و تحدیّات تفاقمت بتقادم الزمن نحوالأمام فتطورّت رویدا رویدا حتی بات – وفی نهایة المطاف – ذلک النظام اللاهوتی المعقّد السائد الذی لم تغیّره ید التأریخ و لم تحوّله عما إستقّر علیه بعد إزدهاره إلا شیئا یسیرا و الذی کان و لایزال بحاجة ماسّة الی التبریر و إلی التفسیر.

و لا نشکّ فی أن النظام اللاهوتی المسیحی بما له من مبادئ رمزیة معقّدة و غامضة – و بخاصة علی صعید فکرة الإله بحدودها و ثغورها – أکثر النظم اللاهوتیة للدیانات الإبراهیمیة صعوبة و تشویشا فقد خالف هذا النظام، ما سبقه من النظام اللاهوتی الیهودی و الذی کان من المفروض أن یمثّل دوره إزاء النظام المسیحی کمهمینٍ و کرقیبٍ، فی أهم عناصره اللاهویتة و نعنی به فکرة الإله الواحد کما خالف ما لحقه من النظام اللاهوتی الإسلامی فی نفس الصعید، مخالفة من الصعب جدّا تأویلها إلی ما یضاهی وفاقا.

و الذی یبدیه لنا تصفّح صفحات تاریخ الدیانة الیسوعیة أن الدیانة هذه و مبشّرها الأول المسیح عیسی بن مریم علیهما السلام لم یحاول – و هو حیّ یعیش بین الناس و یعانی من آلامهم و من جهلهم و من الإضطهاد لهم – إبداء أیة صورة لاهوتیة تغایر الصور اللاهوتیة التی تضمّنها العهد القدیم فقد بدأ المسیح علیه السلام مبشراً عادیّا یحثّ الناس علی أن یتوبوا عن خطایاهم و أن یرضخوا لسلطان الله تعالی ثمّ صنع المعجزات بإذن الله و قارع الأبالسة و طردهم طردا عنیفا و دافع عن الذیّن أرهقتْهم تعقیدات القوانین الجافّة التی لم تکن تحمل نفساً تصنع من الإنسان إنسانا و التی فرضها رؤساء الیهود و ندّد بهؤلاء الذین أفسدوا الدیانة الیهودیة و حوّلوها الی تجارة مربحة فطرد الصیارفة من

الهيكل بعد أن جلدهم بسوط إصطنعه من الحبال و راح يجادل ربابنة اليهود و علماءهم جدالا مريراً.[٢]

و ما ألحّ عليه المسيح عيسى بن مريم عليهما السلام نفسه هو أن خرج لطلب الإصلاح فى الديانة اليهودية السائدة آنذاک و التى – و من منظور المسيح – كانت قد حادت عن الصراط القويم الذى رسمه أخوه موسى عليه السلام و التى كانت قد أصبحت تقاليد دينية و مناسک يهودية بحتة لا تقدر بطبيعتها الفارغة من كلّ العناصر المعطية لروح الإيمان و المحافظة على مبادئ الخلق الكريم، على إصطناع الإنسان الذى أرادته السماء.

و لكن الحديث عن أنّه كيف إنقلبت الدعوة اليسوعية و الثورة المسيحية، الديانة المسيحية السائدة بما لها من بون شاسع من الديانة اليهودية التى إنمّا أراد المسيح عليه السلام أن يحييها بعد أوان مماتها بإكسابها روحها السماوية التى كانت قد إختلعت عنها قرون و قرون، تارة أخرى؛ حديث ليست الدراسة التى بين يديک تريد أن تتناوله بالعرض و البحث. و التى تحرص عليه هذه الدراسة أن تعكس لاهوت الديانة المسيحية كما تعترف بها الديانة هذه و كما ترتضيها من دون أن تعلّق على ما تعكسه بالنقد و المناقشة.

و يكمننا أن نلخّص العناصر الرئيسة للنظام اللاهوتى المسيحى السائد فيما يلى:

١- عقيدة الإله الواحد فى إطارها التثليثى:

من أهم العقائد المسيحية هى الإعتقاد بالإله الواحد فالمسيحيون يؤمنون بأن الإله هو الإله الذى أعلنه إبراهيم الخليل عليه السلام و إله موسى عليه السلام و إله اليهود[٣] و بأن إلههم إله واحد لا شريک له فى ملكه و لكنهم و فى الوقت ذاته يؤمنون بالثالوث المقدّس أيضا

---

٢. و فى الأناجيل كلهّا تصريحات واضحة بكل ذلک.

٣. الأب توماس، ميشال اليسوعى، *مدخل الى العقيدة المسيحية* (ترجمة: الأب كميل حشيمة اليسوعى).

أی بالإلـه الأب و المسـیح علیه السلام و روح القـدس و لا یجـدون فـی ذلـک مـن حـرج و یحاولون أن یوفّقوا بین فکرة وحدة الإله و بین فکرة تثلیث الإله.

فالدیانة المسیحیة – و فی أحد مواقفها من فکرة تثلیث الإله الواحد – تعترف بأن الإلـه واحد و لکنه لا یمکن أن یتصوّر بمعزل عن الکون و بأن مشروع النجاة یشهد لأن لله و فی عالم الوجود نشاطا فاعلا و فی ذات الوقت معقّدا و هذا النشاط یتمتّع بالتوّحد کمـا یتمتّع بالتکثر و التمایز فـ "الجوهر الواحـد" یوحّـد أطـراف ثـالوث مشـروع النجـاة و "الشخص" یمیّز بعضها عن بعض و یفـرّق بیـنهم و یجعلهـا تتکثّـر فـأطراف الثـالوث المقدّس لاینفکّ علی مستوی وحدتها الجوهریة بعضها عن بعض فی حـین إختلافهـا فی الشخص[۴]. مما یعنی أن أطراف الثالوث تعمل فی تـاریخ البشـر و تـؤثّر کـلّ علـی إستقلال من دون أن یلزم من ذلک أیّ إخلال بوحدة الإله و تمامه[۵].

۲- عقیدة تجسّد الإله فی المسیح علیه السلام:

و من أهمّ العقائد المسیحیة- کذلک- هو الإعتقاد بأن رسالة الله الأزلیة و غیـر الخلوقـة تجسّدت فی شخص الإنسان یسوع و سکنت بین الناس[۶] و عاشت معهم. فالمسـیحیون یؤمنون بأن الإله تجسّد و تمثّل فی قالب إنسان کان یأکل الطعام و یمشی فی الأسـواق و قد شاءت مشیئة الله تعالی أن یکون ذلک الإنسان عیسـی الناصـری، إبـن مـریم علیهما السلام الطاهرة.

فقد جاء فی إنجیل یوحنّا:

(فی البدء کان الکلمةُ و الکلمةُ کان عند الله و کان الکلمـةُ، اللهَ. هـذا کـان فـی البدء عند الله. کلّ شیء کان و بغیره لم یکن شیء ممّا کان. فیه کانت الحیـوة و

---

٤ .Alister E.Mc Grath , *Christian theology an introduction* , p.368.

٥ .ibid p.371 .

٦. الأب توماس، میشال الیسوعی، *مدخل الی العقیدة المسیحیة*.

الحيوة كانت نور الناس و النور يضىء فى الظلمة و الظلمة لم تدركه).[٧]

و قد إستلهم المسيحيون من هذه الآيات و من غيرها فكرة التجسّد التى تمثّل و من دون أىّ شكّ أحد أهم العناصر اللاهوتية للديانة المسيحية. و الذى يجب أن نؤكّد عليه أن هذه الفكرة إنما تمخّض عنها الفكر المسيحى لتمثّل إحدى حلقات فكرة الفداء و مشروع النجاة حيث رأى أن الله الذى أراد أن يخلّص البشر من ذنبه القديم و يحرّره من الموت جسّد كلمته الأزلية رحمة منه و فضلا فى شخص اليسوع لتتأهب الأرضية لتقديم نفسه قربانا كفدية عن ما إرتكبه آدم عليه السلام فسبّب بذلک معاناة البشر المستمرة و تعاسة حياته السوداء[٨].

فالديانة المسيحية تعترف بأن الإله تجسّد فى اليسوع و بأنّ له – طبقا للقرار الذى إتخذه مجمع خلقدونية[٩]– طبيعتين إثنتين، طبيعة إلاهية و هى التى تجسّدت فى اليسوع و طبيعة بشرية و هى طبيعة اليسوع الفيزيولوجية.

---

٧. يوحنّا ١: ١–٥.

٨. جاء فى *Catholicism*:

Had Adam not sinned there might have been no Incarnation.(George , Brantl , *Catholicism* , p.92.)

٩ .*Christian theology an introduction* , p.350

۳– عقيدة الفداء[۱۰]:

و من أهم العقائد المسيحية – كذلک – هو الإعتقاد بفكرة الفداء و بأن الله تعالى جسّد كلمته الأزلية فی شخص إنسان هو اليسوع لينزل الى الناس و يعيش معهم و ليقتل فی نهاية الأمر و بأسلوب مؤلم جدّا ليكون فدية الله التی قدمّها بتطوّعه الناتج عن رحمته الواسعة، و التی قضى الله بها على سيطرة ذنب آدم عليه السلام المدمّرة و المرهقة على أبناءه منذ إذنابه القديم.

المسيحيون يؤمنون بأن المسيح عليه السلام ضحّى بنفسه على الصليب الدامی ليمثّل دوره الفدائی البات إزاء كلّ البشر و ليفتدی بنفسه عن الذنب الذی اجترحه آدم أبو البشر عليه السلام.

فالمسيح عيسى بن مريم عليهما السلام ضحّى بنفسه على الصليب ليكون فدية الله التی إفتدی بها عن ذنب البشر و يعتبر العهد الجديد إستشهاد المسيح عليه السلام على الصليب مستمّدا من الصور المطروحة فی العهد العتيق، كفداء. و على أساس هذه الرؤية – التی تتجّلی

---

۱۰. The sacrifice of Christ:

After the three years of His ministry the time was com for Christ to offer His life as atonement to God *for the sins of mankind.* This was the purpose for which He had become incarnate. Now the Jews under the Old Law had always been accustomed to sacrifice.To indicate clearly that He had come to complete and fulfill the sacrifice of the Mosaic Law Christ chose the occasion of the Feast of the Passover the time of sacrifice of the Paschal Lamb.

Sacrifice is the offering of a victim by a priest to God and the destruction of the victim to acknowledge supremacy of the Godhead. In every sacrifice there must be a visible gift which is offered to God (oblation) and destroyed (immolation) the purpose of the gift must be religious and the gift must be acceptable and accepted by God.

In the Sacrifice of Christ the Redeemer Himself is Priest and Victim. From the Offering of Himself as victim at the Last Supper on Thursday eve Christ the Priest Victim passed to the culmination of His sacrifice in the immolation of the Cross.(*Catholicism* , pp.91-92)

و بشكل ملحوظ فى الرسالة الى العبرانيين-كان فداء المسيح عليه السلام فداءا كاملا و مؤثّرا إستطاع أن يحقّق ما أومأ اليه العهد العتيق إيماءا عابرا و قد عجز عن إنجازه و الجدير بالذكر أن أول من سنحت له هذه الفكرة هو الرسول بولس فإستخدامه لمصطلح ***hilasterion*** اليونانى و تصريحه حيث قال: "فإنّى سلّمت اليكم فى الأوّل ما قبلته أنا أيضا أن المسيح عليه السلام مات من أجل خطايانا حسب الكتب و أنه دفن و أنه قام فى اليوم الثالث حسب الكتب"[١١] يبرز و بجلاء أن كان يعتبر موت المسيح عليه السلام فداءا[١٢]، و هذا الفرمول المتكرّر، يؤكّد على ضرورة الحفاظ على قيمة الصلب كعنوان للفداء[١٣].

و تطوّرت الفكرة هذه تطوّرا متدرّجا فى إطار السنة المسيحية، فعلى سبيل المثال يقول أوغسطين مستمّدا من صورة الذبيحة: "المسيح ضحّى بنفسه و قدّم حياته على الصليب كذبيحة تأكله النار بسبب الخطيئة" و يعتقد بأن إستئناف العلاقة بين الإنسان و بين الله رهين بأن يقدّم الوسيط ذاته كفداء.كما جاء فى رسالة آثناسيويس السابعة: "أصبح عيسى إنسانا من أجلنا حتى يقدر أن يقدّم نفسه – عنّا – إلى الأب و يفدينا بنفسه من خلال فدائه".

و قد سلّط أوغسطين من خلال التعريف الدقيق الذى أبدعه لمفهوم الفداء و الذى أبرزه فى كتابه *مدينة الله*، على هذه الفكرة أضواءا حديثة حيث أذعن بـ"أن كل عمل ينجز من إجل التوحيد بيننا و بين الله و من خلال مشاركة مقدّسة، يستوجب إعطاء فداء حقيقىّ" و إعتقد بأن المسيح عليه السلام – الذى هو الفداء الحقيقى – مثّل فى فدائه دور الكاهن و دور الذبيحة على حدّ سواء.[١٤]إذن فالمجتمع المسيحى الأقدم إعتبر – كردة

---

١١. الرسالة الأولى الى أهل كورنثوس ١٥: ٣-٤ و الرسالة الى أهل غلاطيّة ١: ٣ – ٤.

١٢. *Christian theology an introduction* ,p.391

١٣. *New catholic encyclopedia* , v.4 , p.380

١٤. *Christian theology an introduction* , pp.391-392

فعل على ما أكّد عليه الرسل فى مواعظهم، تأكيدا مرتكزا على أسفار العهد العتيق – الخلاص نتاجا طبيعيا لصلب الربّ و موته [۱۵].

و الذى تشدّد عليه الديانة المسيحية أن موت المسيح عليه السلام بصلبه ليس بمعنى إضمحلال فادٍ رغم إرادته و هواه بل عبارة عن بطولة بطل عبقرى، بطولة تمخضت عن أن يقدّم نفسه متطوعا لإنجاء كلّ البشر و خلاصه [۱۶].

و عودا على بدء نستطيع القول: إن فكرة الفداء التى ترتكز على قتل المسيح عليه السلام و صلبه [۱۷] على الصليب [۱۸] هى البنية التحتية لبناية اللاهوت المسيحى السائد بما لها من

---

۱۵. . *New catholic encyclopedia* ,v.4 , p.381

۱۶ .ibid v.4 , p.390

۱۷. جاء فى دائرة معارف كلمبيا فى ظاهرة الصلب:

Crucifixion: hanging on a CROSS in ancient times a most shameful death. It was practiced widely in the Near East but not by the Greeks. The Romans who my have borrowed it from Carthage reserved it for slaves and despised malefactors. They used it frequently as in the civil wars and in putting down the Jewish opposition. Crucifixion was probably at first a modification of hanging on a tree and from such connection come the synonyms *tree* or *rood* (i.e.. rod or pole) for Jesus cross. The Romans used mostly the T cross the Latin cross or St. Andrew s cross. Most ancient sources describe the cross Jesus died on as a Latin cross the type most common in the liturgy of the West. It was common practice among the Romans to scourge the prisoner and to require him to carry his cross to the place of crucifixion. To induce more rapid death the prisoner s legs were often broken. ... Crucifixion was abolished when the empire became Christian. (*The Columbia encyclopedia*, in crucifixion , v.2 , p.517).

و لاحظ فيما يرتبط بأنواع الصليب (Forms of the cross):

The international standard bible encyclopedia , in Forms of the cross, v.1, p.826.

و لاحظ فيما يرتبط بتأريخ ظاهرة الصلب و إستخدام أداة الصليب كأداة التعذيب (History of the)

لبنات أساسية أخرى من فكرة الإله الواحد فى إطارها التثليثى و من فكرة التجسّد. ففكرة الفداء – التى إبتكرها بولس – دلّتهم على أن كلمة الله الأزلية قد تجسّدت و فكرة التجسّد دلّتهم على أن الإله الواحد فى الجوهر متكثّر فى الشخص.

و من هنا يتجلّى لنا الدور المحورى لحدث الصليب التأريخى فى ولادة النظام اللاهوتى السائد و فى ترعرعه عبر القرون. و هذه حقيقة إعترف بها كثير من علماء اللاهوت المسيحى و على سبيل المثال يقول الأستاذ يوسف درة الحداد:

"إن الإنجيل المقدّس يكرّس ثلث صفحاته ليسرد تفاصيل إستشهاد المسيح بيد اليهود فى أيامّ ولاية بيلاطس البنطى من قبل رومه على اليهودية، تأييدا منه لرسالته و تعلميه اللذين لم ينكرهما أمام الموت المحتوم. لقد زكى شهادته بتضحية حياته؛ و الشهادة المطبوعة بخاتم الدم لا تنقض. فيخبرنا الإنجيل أن المسيح قد أوقف و حوكم و تألّم و صلب و مات على الصليب ثمّ قام من القبر فى اليوم الثالث و صعد حيّا الى السماء. و الإنجيل كلّه، و الدين المسيحى كلّه مبنّى على فداء البشرية من خطاياها بإستشهاد المسيح ".[١٩]

---

cross:*The Encyclopedia of religion* , in Non-Christian Crosses , v.4 , pp.155-158.

لكاتبه Julien Ries

١٨. جاء فى دائرة معارف الدين تعريفا بأداة الصليب:

Cross: The cross is a sign formed by the meeting of two lines intersecting at a senter from which four directions depart.(*The Encyclopedia of religion* , v.4 , p.155.)

و لاحظ أيضا:

The international standard bible encyclopedia , v.1 , p.825.

١٩. يوسف درة الحداد، *الإنجيل فى القرآن*، ص ٢٩٠.

منطلقات عقيدة الفداء فى اللاهوت المسيحى[۲۰]

هناک ثلاثة منطلقات تنطلق منها الديانة المسيحية السائدة لتدرک موت المسيح عليه السلام و إستشهاده على الصليب الدامى، نتعرض لها بشىء من التفصيل فيما يلى:

المنطلق الأول: أن المسيح عيسى بن مريم عليهما السلام حرّر النوع الإنسانى من الأغلال التى كانت عليه نتيجة لخطئية آدم عليه السلام[۲۱] و من الموت و من الألم.[۲۲]

إن الديانة المسيحية تعتقد بأن الناس يشعرون بالقوى الشريرة التى تطغى عليهم و تأسرهم و تمنعهم من الوصول الى السعادة الشاملة. و القوى الشريرة هذه تختلف بإختلاف الثقافات و إختلاف العصور لكنها حاضرة أبدا على وجه من الوجوه و ليس من شكّ أن مثل هذه القوى التى يتمخض عنها ما لا يحصى من النوايا الشريرة و الرزايا المدمرّة لكلّ ما يكون حياة و كلّ ما يكون سعادة، تطغى على الناس و ترهقم و تتسبّب لهم بالتعاسة السوداء.

و تعتبر الديانة المسيحية – تقتصّ فى ذلک أثر الكتاب المقدس – أن القوى تلک و ما تتمخض عنه من الرزايا و من الهلكات و كذلک المواقف المأساوية التى تتخذ من قبل البشر كنتيجة طبيعية لهمينة القوى الشريرة القاهرة عليهم، إنمّا جاءت نتيجة لخطئية

---

۲۰. أخذنا على أنفسنا و نحن نتعرض لهذه المنطلقات، أن نبتعد كلّ الإبتعاد عن أسلوب العرض التوصيفى البحت الذى عادة ما يتخّذ فى الكتابات التى تكتب من قبل كتّاب أجانب عن الديانة التى يكتبون عنها.

۲۱. و التى يعبّر عنها علماء اللاهوت بـ "الخطيئة الأصلية".

۲۲. أكّد العهد الجديد و الكنيسة الأولية على الإنتصار الذى حقّقه المسيح بصلبه و قيامته، على الخطيئة و الموت و الشيطان. و تمتّعت هذه الفكرة بخطورة بالغة فى اللاهوت المسيحى الغربى الكلاسيكى و كانت الفكرة هذه تعكس لهم مفاهيم تمحورت كلّها حول إنتصار المسيح المحتوم على القوى الشريرة التى سيطرت على الإنسان. (*Christian theology an introduction* , p.395)

آدم عليه السلام و بالتالى لخطئية العالم، خطيئة لا أحد مسئول عنها بمفرده و لكنها تـؤثر سـلبا فى حياة الجميع و خطيئة تدعوها الديانة هذه "الخطيئة الأصلية" فتنعى بذلک أن البيئـة الخاطئة أثّرت فى حياة البشر منذ بدايات الإنسان.

و ممّا تؤكّد عليه الديانة المسيحية أن مشكلة النوع الإنسانى ليست تتلخص فـى تسـيطر القوى الشريرة عليه بل هنالک ما هو أعظم بكثير فالموت بإنتظار البشر جميعا فتتسـاءل الديانة هذه: هل سينتهى كلّ شىء بالتلاشى و العدم؟

و فى هذا الضوء فمفهوم الديانة المسيحية لموت المسيح عيسى بن مريم عليهما السلام هـو أنـه عبارة عن تحريرهم من قوى الخطيئة و الموت و تؤكّـد الديانـة هـذه أن المسـيح عليه السلام عاش بين الناس عيشة الأبرياء البررة يبشّر بالمحبة و يؤيـد بشـارته بخدمتـه للفقـراء و المساكين و للمرضى و يدعو الناس الى الحقيقة و طاعة الله تعالى و لمّا أعـرض النـاس عن تعاليمه و رفضوها و تآمروا عليه و على حياته لم يتهرّب مـن المـوت و لـم يقـاوم أعداءه بمثل ما واجهوه به من العنف و الخبث بل هتف من على خشبة الصليب الدامى الذى صلب عليها: "يا أبتاه إغفر لهم لأنهم لا يعلمون ما يفعلون"[٢٣].

و الذى يعكسه العهد الجديد أن موت المسيح عيسى بن مريم عليهما السلام كان مؤلما أشـدّ مـا يكون الألم، رهيبا لا يطاق، موتا شائنا يعاقب به العبيد و المجرمون[٢٤] و أن أغلبية أتباعه بما فيهم أقرب تلاميذه اليه، قد تخلّوا عنه. مات فى ريعان الشباب و له من العمـر نحـو

---

٢٣. لوقا ٢٣: ٣٤.

٢٤. فقد أبرز ما نقلناه من دائرة معارف كلمبيا هذه الحقيقة حيث جاء فيها:

The Romans used mostly the T cross the Latin cross or St. Andrew s cross. Most ancient sources describe the cross Jesus died on as a Latin cross the type most common in the liturgy of the West. It was common practice among the Romans to scourge the prisoner and to require him to carry his cross to the place of crucifixion. To induce more rapid death the prisoner s legs were often broken. (*The Columbia encyclopedia*, in crucifixion , v.2 , p.517.)

ثلاثین سنة. وقف مستضعفا بین أعداءه و سخروا منه، شوّهت ملامح وجهه و أثخن جراحا. الأمر الذی یوحی أنه لِیکنْ قد أخفق فی المهمّة التی أخذها علی عاتقه.

علی الرغم من ذلک کلّه فالدیانة المسیحیة تؤمن بأن الله أقام عیسی بن مریم علیهما السلام من الأموات فثبّت بالقیامة هذه رسالة المسیح علیه السلام کما ثبّت کلّ ما علّمه المسیح علیه السلام و الطریقة التی عاش بها. و من هنا تری الدیانة هذه فی قیامة المسیح علیه السلام من الموت و عبوره الی حیاة جدیدة إنتصارا علی الخطیئة و الموت و أن المسیح علیه السلام یسوع قد إنتصر علی الخطئیة لا من خلال مقاتلة أعداءه و إستعمال ما إستعملوه من أسالیب بشریة بل بإتکّاله علی الله و خضوعه و طاعته له حتی الإستشهاد علی الصلیب الدامی.

و هکذا فقد إنتصر المسیح علیه السلام – و فیما تراه الدیانة المسیحیة – علی الموت بقیامته و قیامة المسیح علیه السلام هی الدلیل علی أن الله یستطیع أن یخرج الحیاة من أشنع أنواع الموت و أن یحدث النجاح من الإخفاق مهما بدا ذریعا و أن یحوّل أفظع ضروب الألم الی فرح و سعادة. و تری الدیانة هذه أن الله بقیامة المسیح علیه السلام أظهر أن الموت، و أن یکن عدوّ الإنسان حتی النهایة، لا سلطان له علی البشر فی نهایة المطاف و تستشهد لذلک بمقالة بولس فی رسالته الأولی الی أهل کورِنْثوس: "أین شوکتک یا موت؟ أین غلبتک یا هاویة؟"[۲۵]. و لیس الصلیب الذی علیه جسد المسیح علیه السلام و الذی یعلّقه المسیحیون علی الجدران سوی تذکیر مستمّر بأن الله إنتصر علی الخطیئة و علی الموت و سائر القوی الشریرة التی تقیّد الأنسان و تُخضعه أمام کلّ تعاسة.

و لا ترید الدیانة المسیحیة بتغلّب المسیح علیه السلام علی الخطئیة و علی الموت أنه إنصرم بصلب المسیح علیه السلام علی الصلیب و إقامته من الأموات، عهد الخطیئة و عهد الموت و عهد الألم فلایزال الإنسان یعیش فی عالم یکثر فیه الموت و الخطئیة و یکثر فیه الظلم و العنف و البغض و الشراسة و لکنها ترید بذلک – فی أجواء التعالیم التی تستبطنها

---

۲۵. ۱۵: ۵۵.

كتب العهد الجديد – أن الله تغلّب على تلك القوى بفعل موت المسيح عليه السلام و بيّن للناس الطريقة التى تمكّنهم من أن يحولوا دون سيطرة الخطيئة و الموت على حياتهم. و من هنا تشدّد الديانة هذه أنه لم يحن بعد حين إنتصار الله النهائى على الخطيئة و الموت إنتصارا يسطع نوره فى الخليقة جمعاء.

جاء فى مدخل الى العقيدة المسيحية:

"لقد دخل البشر بالخطيئة فى مملكة الموت... و ساد عليهم الحزن و الألم و الضعف و الفناء. لقد أصبحوا كمن أغلق عليهم فى سجن مظلم رهيب. لقد كان بإمكان الله أن يحرّرهم من الخارج، بكلمة منه فقط، بإرادته الفائقة و لكن محبته دفعته أن يشارك البشر أولا مصيرهم لكى يوحّد ذاته معهم. المحبة تدفع المحب الى مشاركة المحبوب فى آلامه،هكذا محبة الله *الجنونية* للإنسان... لم تدفعه الى إجتياز الهوّة الفاصلة بين الخالق و المخلوق و حسب – و هذا هو التجسّد – بل الى مشاركته أيضا فى جحيم بؤسه.

فالإله الذى بتجسّده "شارك البنين فى اللحم و الدم"(عبرانيين ٢: ١٤) شاء أن يصير شبيها فى كلّ شىء بالبشر الذين إتخذهم أخوة له (عبرانيين ٢: ١٧)، أن يشاركهم أيشا بكلّ ما تعرض له هذا اللحم و الدم من جرّاء الخطيئة، من حزن و ضيق و آلام و موت. هكذا إكتمل التجسّد و دخل إبن الله الى صميم الطبيعة الإنسانية، مختبرا إياها بكل شقائها، حتى يشعر الإنسان فى حزنه و بؤسه، فى آلامه الجسدية و المعنوية، فى نزاعه و موته، انه محبوب، و أن الله نفسه شاركه فى ذلک كلّه. لقد جعل الله نفسه طريح الألم لكى لا يشعر الإنسان أنه يعانيه وحده بل برفقة الإله المتجسد الذى عاش آلام الإنسان فى نفسه و جسده، بمعية ذاک الذى كُتب عنه: "إذ إنه، هو نفسه، تألم و إبتلى، صار فى طاقته أن يغيث المبتلين" (عبرانيين ٢: ١٨).

هكذا دخل يسوع، حبا بالإنسان، مملكة الموت التى كان غريبا عنها إطلاقا، ليس فقط من حيث ألوهته التى هى ينبوع الحياة، بل من حيث إنسانية أيضا. فإنسانية يسوع لم

تعرف الخطيئة ألبتة و لذلک فقد كانت بالكلية غريبة عن مملكة الموت، ذلک الموت الذی انجرف اليه الإنسان بالخطيئة. مملكة الموت هی مملكة الشيطان الذی قتل الناس بالخطيئة، و لم يكن للشيطان شیء فی إنسانية يسوع البريئة من كل عيب، و لذا قال يسوع لتلاميذه قبل تسليمه بقليل: "إن رئيس هذا العالم (أی الشيطان الذی تسلط علی العالم بالخطيئة) يأتی (أی أن يسوع سوف يدخل بالموت الی مملكته) و ليس له كلّ شیء"(يوحنا ١٤: ٣٠). فی تلک المملكة التی كان غريبا عنها بالكلية، مملكة الموت و الشيطان الذی له "سلطان الموت"(عبرانيين ٢: ١٤)، دخل يسوع حبا بالإنسان سجين ذلک العالم الرهيب.

و لكن مملكة الموت لم يكن بوسعها أن تضبط سيّد الحياة القدوس البریء من الخطأ. لذا كان دخول يسوع فيها مقدمة لتحطيمها و تحرير الإنسان منها. هكذا لما شاركنا الربّ فی الآلام و الموت أعتقنا من الموت و الآلام، و لما اسلم ذاته لذلک العالم الرهيب الذی أوجدته الخطيئة ضرب قوی الخطيئة الكامنة فينا ضربة قاضية. عندما طرح نفسه فی ظلمتنا، أضاءها بنوره، و عندما شاركنا فی موتنا أعطانا حياته. هكذا تحققت نبؤة أشعياء التی ردّدها الإنجيل مطبقا إياها علی يسوع: "الجالسون فی بقعة الموت و ظلاله أشرق عليهم نور" (أشعياء ٩: ٢ و متی ٤: ١٦). هذا ما عبرّت عنه الرسالة الی العبرانيين: "إذ قد إشترک البنون فی اللحم و الدم، إشترک هو كذلک فيهما لكی يبيد بموته من كان له سلطان الموت، أعنی إبليس" (عبرانيين ٢: ١٤)."[٢٦]

المنطلق الثانی: أن المسيح عيسی بن مريم عليهما السلام كفّر عن الخطيئة ممثّلا فی ذلک للناس جميعا:

---

٢٦. كوستی بَنْدلی (و مجموعة من المؤلفين)، *مدخل الی العقيدة المسيحية* صص ١٤١ و ١٤٢.

تعتقد الديانة المسيحية بأن عواقب الخطيئة لاتبقى خارج طبيعة الإنسان و من هنا يشعر الناس بأنهم ملوّثون ملطّخون بفعل إنغماسهم فى بشرية خاطئة و بأن *العماد* الذى هو أولّ *الأسرار* التى تمنح قوة الله، و الذى يتمّ عن طريق الغسل بالماء، رمز الى إعتراف المسيحيين بوصمة الخطيئة و عدواها و بحاجتهم الى أن تمحى ذنوبهم.

و فى هذا الضوء فالوجه الثانى الذى عليه تفهم الديانة المسيحية إستشهاد المسيح عيسى بن مريم عليهما السلام على الصليب الدامى هو "التكفير" عن الخطيئة على مستوى خللها *الموضوعى* الذى تُلحقه الخطيئة بصلاح الله و بخليقته و بالنظام الخلقى[٢٧]، خلل تتعدى الخاطئ بمفرده و ينقل عدواه الى العنصر البشرى بأجمعه، خلل يمثّل أساس شعور الناس بعدم الطهارة و بالحاجة الى أن تعاد اليهم الطهارة.

و ترى الديانة المسيحية أنه كما يشارك جميع الناس فى الخلل *الموضوعى* الناتج عن الخطيئة، كذلک يمكن ممثّل واحد للبشرية جمعاء أن يكفّر عن هذا الخطأ و على هذا الأساس تؤمن الديانة هذه بأن المسيح عيسى بن مريم عليهما السلام حقّق فعلاً التكفير[٢٨] عن ذلک الخلل الموضوعى مرة واحدة لجميع الأزمان و بأنه من خلال إستسلامه الكامل و

---

٢٧. و أما على مستوى خللها *الذاتى* الذى تُلحقه الخطيئة بالشخص الفرد بمفرده فالديانة المسيحية تصرّح بأنه إذا إستسلم الشخص الفرد الى الخطيئة إنقطعت علاقته بالله و إذا تاب سامحه الله و محى ذنبه الشخصى.

٢٨. فحياة المسيح عليه السلام التى قدّمها على الصليب كانت كفارة و فدية (مرقس١٠: ٤٥ – الرسالة الأولى الى تيموثاوُس ٢: ٦) عن ذنب مذنبى النوع الإنسانى و مفردة *الفدية* تدلّ على ثلاثة مفاهيم متفاعلة:

١– التحرّر: نتاج تقديم الفدية هو تحرير الإنسان الذى غلّ و خلاصه.

٢– الثمن: الفدية هى الثمن الذى يدفع بهدف تحرير إنسان.

٣– المتقبّل للفدية: تدفع الفدية عادة الى الشخص الذى أسر إنسانا آخر و غلّه أو الى ممثّله.

و فى هذا الضوء فحين يعتبر موت المسيح عليه السلام على الصليب كفدية عن ذنب مذنبى النوع الإنسانى، يتحتّم أن تؤخذ هذه المفاهيم الثلاث بعين الإعتبار.

(*Christian theology an introduction* , p.395)

طاعته التامّة هدم الحاجز الذی رفتعه الخطیئة بین الله اللامتناهی فی الصلاح و بین الإنسان المتمّرد و تؤکّد علی أن عمل التکفیر لا یستطیع القیام به سوی واحد لا یعرف خطیئة و فی الوقت ذاته یکون متّحدا کامل الإتحاد بالحکمة الإلهیة و هو المسیح علیه السلام.

و لا تری الدیانة المسیحیة فی عمل التکفیر الذی قام به المسیح شفاءً لغلیل إله غاضب أراد موت من إختاره لرسالته بل تری أن المسیح علیه السلام قبِل آلامه و موته بملء حریته لیمثّل الجنس البشری فیکفّر عن جمیع الخطایا التی اقترفت فأهانت الله تعالی. و من هنا تعتبر الدیانة هذه إستشهاد المسیح علیه السلام علی الصلیب ذبیحة و تستلهم فی ذلک من ذبائح الیهود فی العهد القدیم التی لم یکن الهدف من ذبحها إرضاء إله غضوب أو رشوة الله لدفعه الی القیام بما لم یکن لیقوم به لولا ذلک تدخّل العنصر البشری برشوته و تتجّه الدیانة المسیحیة فی فهمها للذبیحة – إتجاها مرتکزا علی تعالیم الکتاب المقدس – الی أن ذبح المسیح عیسی بن مریم علیهما السلام کان مبادرة من عند الله و لیست من عند الإنسان فإن الله هو الذی یحدّد الشعائر التی تمکّن الإنسان من أن یتّحد به تعالی و التی توفّر للناس فرصا تسهّل العیش و الموت فی طاعته.

و تعترف الدیانة هذه بأن فی إستشهاد المسیح علیه السلام علی الصلیب إقامة *للعهد الجدید* بین الله و بین البشریة جمعاء لا بینه و بین الشعب الیهودی لوحده و تستدلّ علی ذلک بما قاله المسیح علیه السلام فی أثناء العشاء الأخیر بعد أن أخذ الکأس و شکر و أعطاهم: "إشربوا منها کلّکم لأنّ هذا هو دمی الذی للعهد الجدید الذی یسفک من أجل کثیرین لمغفرة الخطایا"[۲۹]. و الحیاة الجدیدة الناتجة عن ذلک – و من منظور الفکر المسیحی- هی حیاة لم یعد فیها مجال لتکون *الخطیئة الموضوعیة* عائقا، و ذلک أن الجنس البشری بأجمعه تصالح، بواسطة ممثّله المسیح عیسی بن مریم علیهما السلام، مع الله تعالی.

جاء فی مدخل الی العقیدة المسیحیة:

---

۲۹. متّی ۲٦: ۲۷-۲۸.

"نرى أن الرب يسوع، لكى ينقذنا من الخطيئة التى أصبحنا نحن تحت وطأتها، شاء أن يأخذها على نفسه، لا أن يأخذها هى بل أن يحتمل فى ذاته كلّ نتائجها المريعة حبّا بنا. إن المحب يود لو أن يستطيع أن يأخذ على نفسه مرض المحبوب ليخلصه من وطأته. و لكن ما لا يستطيع أن يفعله الحب البشرى، إستطاع يسوع أن يتمّمه إذ أنه، لأجل محبته لنا، أخذ على نفسه مرضنا لينقذنا منه: "إنه أخذ عاهاتنا، و حمل أوجاعنا " (أشعياء ٥٣: ٤ و متى ٨: ١٧)

فإنه و هو البرىء من كل خطيئة، أخذ على نفسه كل الشقاء الذى جرّته الخطيئة على الجنس البشرى: فقد إحتمل عارها و ذلها و لعنتها و الظلمة و العزلة و الألم و الموت التى نتجت عنها. أراد أن يكون على الصليب محتقرا، ذليلا، مهانا، "لا صورة له و لا جمال" (أشعياء ٥٣: ٢)،"رجل أوجاع و متمرسا بالعاهات" (أشعياء ٥٣: ٥)،"مزدرى و مخذولا من الناس" (٥٣: ٣) و كأنه متروك من الله نفسه: "إلهى إلهى لماذا تركتنى" (متى ٢٧: ٤٦)، حاصلا فى ظلمة و حزن مميتين: "نفسى حزينة حتى الموت" (متى ٢٦: ٣٨).

هكذا تجسمت فى المسيح عليه السلام – و هو لم يعرف خطيئة – كلّ مأساة خطيئة البشر: "كلنا ضللنا كالغنم، كل واحد ضلّ فى طريقه، فألقى الربّ عليه كلّ آثامنا" (أشعياء: ٥٣: ٦) و كأنه صار هو " خطيئة" على حدّ تعبير الرسول بولس: "لانه جعل الذى ليست فيه خطيئة خطيئة من أجلنا" (٢ كو ٥: ٢١).

و هكذا فإن يسوع المسيح عليه السلام على الصليب ظهر لله الآب مجسما فى جسده الجريح، الممزق، المختنق، و فى نفسه المنسحقة، بشاعة كلّ خطيئة البشر التى أخذها على نفسه فصار شفيعا للخطأة أجمعين عندما وحّد ذاته معهم: " أفاض للموت نفسه و أحصى مع العصاة و هو حمل خطايا كثيرين و شفع فى العصاة " (أشعياء ٥٣: ١٢). و ذلك أن الله الآب لم يعد ينظر الى الخطأة الا من خلال هذه الصورة، صورة إبنه الوحيد الحبيب

المصلوب الذی جعل نفسه کواحد منهم. و بهذا المعنی یتابع الرسول: "لأنه جعل الذی لیست فیه خطیئة خطیئة من أجلنا لکی نصیر نحن، به، بر الله" (۲ کو ۵: ۲۱) أی أن الله تصالح مع البشر الخطأة و غفر خطایاهم و بررهم و ضمهم الیه من خلال شخص الإبن الحبیب الذی وحّد ذاته معهم.

هکذا کان الحمل الذی کان یذبح فی الهیکل صباحا و مساءا تکفیرا عن خطایا الشعب رمزا و إشارة الی المسیح علیه السلام الذی قال عنه یوحنا المعمدان: "هوذا حمل الله الذی یرفع خطیئة العالم"(یوحنا ۱: ۲۹)".[۳۰]

المنطلق الثالث: أن المسیح عیسی بن مریم علیهما السلام بات بإستشهاده علی الصلیب مثالا للحب المجرّد عن الذات و أنموذجا خلقیّا باهرا[۳۱]

---

۳۰. کوستی بَنْدلی (و مجموعة من المؤلفین)، *مدخل الی العقیدة المسیحیة*، صص۱۳۹ – ۱٤۰.

۳۱. إن أحد الجوانب الخطیرة من فهم العهد الجدید لمدلول الصلیب هو أن الله أظهر حبّه لکلّ البشر من خلال صلب إبنه المسیح علیه السلام فأوغسطین إنما هو واحد من آلاف الکتاب من آباء الکنیسة الذین أکّدوا علی أنه کان من أهم بواعث إرسال المسیح علیه السلام "أن یظهر الله حبّه لنا". کما نجد مثل هذا التأکید – و قبل أوغسطین بمدة طویلة جدا – فی کتابات کلیمندس الإسکندری حیث یبدی فیها أنه کیف یُثبت تجسّد الإله فی المسیح علیه السلام و موته علی الصلیب، حبّ الله لکل البشر و حیث یکلّف کلّ البشر أن یظهروا – بالتالی – نفس ذلک الحبّ لله:

"جاء {المسیح علیه السلام} الی عالم البشر و إکتسب طبیعة إنسانیة و تقبّل أن یحتمل عن تطوّع منه آلام البشر لانه أراد بهوبطه الی مستوی ضعفنا و عجزنا أن یرتقی بنا الی مستوی قدرته و تمکّنه. و قبل أن یقدّم فدائه و حین إفتدی بحیاته، ترک فینا هذا المیثاق الجدید: "أنا أعطیکم أن تحبوّا بعضکم بعضا کما أحببتکم أنا تحبّون أنتم أیضا بعضکم بعضا" (یوحنّا ۱۳: ۳٤). ما هی ماهیة هذا الحب و ما هو نطاقه؟ فقد قدّم حیاته فی سبیلنا کلنا، حیاتا کانت تعدل قیمة الکون کلّه و طالبنا فی قبال ذلک أن نتحابب بعضنا مع بعض بمثل ذلک الحبّ ".

(*Christian theology an introduction* , p.407)

تعتقد الديانة المسيحية بأن شعور الإنسان بضرورة الفداء ليس ينتج عن مجرّد إدراكه لضرورة التخلص من قوى شريرة خارجة تضغط عليه و تسدّ امامه سبل الخير و إدراكه لضرورة التحرّر من العدوى[٣٢] التى تصيبه من جرّاء إنتمائه الى البشرية الخاطئة فحسب بل – إضافة الى كلّ ذلک – ينتج عن إدراكه المباشر[٣٣] لأن نزواته الكامنة فيه تقوده الى التمرّد على الله و الى إيذاء نفسه و الآخرين مما يجعله يفهم أنه اذا ترک دون معين إستسلم الى ما فيه من جشع و كبرياء و غضب و شهوة و حسد و كسل فقوّض أسس حياته و حياة سواه من النوع الإنسانى. و على هذا الأساس تعتقد الديانة هذه بأن من جملة المعطيات الكبيرة التى أعطاها المسيحى عليه السلام بصلبه على الصليب الدامى هو التغلب على *الخلل الذاتى* الناتج عن الخطيئة أيضا مما يعنى أنه لم يقنع بالتغلب على *خلل الخطيئة الموضوعى*.

و لا تعنى الديانة المسيحية بذلک أنه لولا صلب المسيح عليه السلام على الصليب لم يكن الله تعالى ليسامح المذنبين إذا تابوا اليه و لكن تعنى بذلک أن الإنسان و بعد توبته الى الله و مسامحته تعالى له يظلّ بحاجة الى قدرة الله لتحوّله الى ما يمكنه أن يكون و الى ما يريد الله أن يكون و فى هذا الضوء فالذى تجده الديانة فى المسيح عليه السلام و حدث صلبه المأساوىّ هو المثال الأعلى و الإلهام و النعمة للإقتداء به و التحوّل على يديه. فالمسيح عليه السلام – من منظور الفكر المسيحى – أظهر للناس بتضحيته بنفسه بتطوعه و إرتضاءه ذلک الحبّ الذى يستطيع أن يؤثّر فى قلوب البشر و يبدّلها و يحوّل بالتالى حياته الى أحسن الحياة فقد قال يسوع المسيح:"ما من حبّ أعظم من حبّ من يبذل حياته فى سبيل أصدقاءه"[٣٤] و من هنا ففعل محبة المسيح عليه السلام له القدرة على تغيير

---

٣٢. و نعنى بهذه العدوى *الخلل الموضوعى* للخطيئة خللا أشرنا اليه آنفا.

٣٣. نعنى بالإدراک المباشر هنا ما يرادف العلم الحضورى بالمصطلح الفسلفى و هو إدراک يعدّ قسيما للإدراک غير المباشر و هو ما يرادف العلم الحصولى.

٣٤. يوحنّا ١٥: ١٣.

الإنسان لأن صاحبه بریء بارّ له علاقة بالله فریدة ممیّزة و لأن مثال الحبّ المجرّد عن الذات الذی أظهره المسیح علیه السلام هو خیر مثال ترکه لتلامیذه و للناس جمیعا، مثالا ألهم ألوفا مؤلفّة من الرجال و النساء لیرقوا الی أسمی درجات السخاء و المسامحة و الإیثار و إستلهموا فی ذلک – علاوة علی الصلیب الدامی – من کلام المسیح علیه السلام لیلة *العشاء الأخیر*:"إذا کنت أنا الربّ و المعلّم قد غسلت أقدامکم، فیجب علیکم أنتم أیضا أن یغسل بعضکم أقدام بعض. فقد جعلت لکم من نفسی قدوة"[۳۵].

و لا تخضع الدیانة المسیحیة أمام الملاحظة التی تقول: لا یبدو أن المسیحیین أشد سخاءا أو محبة أو أمیل الی الخدمة و المسامحة من سواهم بل علی العکس من ذلک یبدی تأریخ الحضارة المسیحیة شریطا من الحروب و الإنتقامات و الطموحات و الجشع و عدم التسامح و السیطرة و الإستعمار، أفلیس المسیحیون هم الذین إخترعوا محاکم التفتیش و قاموا بمذابح الحملات الصلیبیة و تمّ علی أیدیهم فی أوروبّا المسیحیة القضاء علی الملایین من الیهود و غیرهم؛ إیمانا منها بأن هذه التطبیقات البشعة و الظالمة لا تعدو أن تکون أعمال مسیحیین لم یعرفوا تعالیم المسیح علیه السلام أو رفضوا إتباعها و الإقتداء بصاحبها، و تستشهد الدیانة هذه بالمسیحیین الذین أتاحوا لنعمة یسوع المسیح علیه السلام و حبّه المحوّل أن یُرشِدا سلوکهم و یهدیا تصرفاتهم و بأن تأریخ الحضارة المسیحیة سجّل إلی جانب حروب المسیحیین و مواقفهم غیر المرضیة، أعمالَ أفراد و جماعات کان دافعهم و دافعها الی الحبّ و الخدمة و الغفران مثالُ المسیح عیسی بن مریم علیهما السلام و یکفی – من منظور الفکر المسیحی – بالمسیحیین الأوائل الذین آثروا الموت علی اللحاق بالجیوش الرومانیّة و بالراهبات اللواتی یکرّسن حیاتهنّ لتعلیم الناشئة و العنایة بالمرضی و... شاهدا لدور الحبّ المحوّل الذی أظهره المسیح علیه السلام، فی حیاة الجماعة المسیحیة.

---

۳۵. یوحنا ۱۳: ۱۵.

جاء فى مدخل الى العقيدة المسيحية:

"بالتجسد أصبح الله حاضرا فى الإنسان ليجدّده و يشفيه و يُشركه فى حياته الإلهية. و لكن بقى أن يزال الحاجز الذى أقامته الخطيئة فى صميم الإنسان بينه و بين خالقه. هذا الحاجز هو... إنغلاق الإنسان، إنطواءه على نفسه دون الله، هو عبادة الأنا التى حكمت على الإنسان بعزلة مميتة. كان ينبغى إذاً تحطيم هذا الحاجز لتتدفق فى الإنسان حياة الله، لأن الإنسان الممتلىء من ذاته لم يعد لله مكان فيه. لذلک عندما إتخذ إبن الله طبيعة الإنسان، داوى أنانيتها بالإنفتاح الكامل و العطاء الكامل اللذين حقّقهما فى إنسانيته.

فإنه طيلة حياته على الأرض، لم يرد أن يتمتع بالمجد الإلهى الذى كان كامنا فيه. فإنه "أخلى ذاته آخذا صورة عبد" (فيليبى ٢:٧). أخلى ذاته من التمتع بالمجد الإلهى و قبل طوعا بوضع " العبد". فضلّ العطاء على التمتع و مع أن كلّ شىء كان فى متناول يده، أراد أن يبذل لا أن يأخذ " أن يخدم لا أن يخدم"(متى ٢٠: ٢٨). إنه "لم يرض نفسه" (روميه ١٥: ٣) و لكن حياته كلها كانت قربانا لله الآب و للبشر الذين صار أخا لهم. فقد ولد فقيرا فى مذود البهائم و تشرّد عند إضطهاد هيرودس له. و عاش معظم حياته عاملا مجهولا: "أ ليس هو النجار، إبن مريم" (مرقس ٦:٣) و طاف يبشّر فيما "لم يكن له موضع يسند اليه رأسه" (متى ٨: ٢٠) و رفض أن يصنع آية فى السماء ليبهر بها البشر (متى ١٦: ١و٤) و لكنه كان يصنع العجائب رأفة بالمعذبين و "يشفى كلّ ألم و كلّ سقم فى الشعب"(متى ٤: ٢٣). و قد إحتمل عدم إيمان الكثيرين، حتى أقاربه الذين كانه ينعتونه بالجنون و تلاميذه الذين لم يفهموا رسالته حق الفهم و الذين تركوه كلهم و فروا حين تسليمه، و باعه أحدهم و أنكره آخر. و صبر على إهانات و شتائم و إضطهادات أعدائه الذين كانوا ينعتونه "بأن به شيطانا" (يوحنا ٨: ٤٨) و لم يرد أن ينتقم منهم بل إنتهر يعقوب و يوحنا عندما طلبا إنزال نار من السماء لإحراق قرية رفضت أن تستقبله (لوقا: ٩: ٥١-٥٦) و زجر بطرس عندما أراد أن يدافع عنه بالسيف

وصلی من أجل قاتليه. و أراد، وهو المعلم و السيد، أن يكون وسط تلاميذه كالخادم (لوقا ٢٢: ٢٧) و أن يغسل أرجلهم (يوحنا ١٣: ٤و ٥).

هذا العطاء الذی به أراد المسيح عليه‌السلام أن يستأصل أنانيتنا، بلغ ذروته فی الصليب. كان فی وسع المسيح عليه‌السلام أن لا يموت بالنظر للاهوت الكامن فيه و لكنه ذهب فی تخليه عن "الأنا" الی أقصی الحدود، باذلا ذاته للموت. و هكذا قدّم حياته علی الصليب قربان محبة للآب، تعبيرا عن تخليه التامّ عن مشيئته الذاتية، كما قال بنفسه فی بستان الجسمانية: "لتكن مشيئتک و ليس مشيئتی" (متی ٢٦: ٢٥)...

هكذا تمرّد آدم عليه‌السلام فأطاع المسيح عليه‌السلام. تكبّر آدم عليه‌السلام فتواضع المسيح عليه‌السلام. إكتفی آدم عليه‌السلام بذاته فتخلی المسيح عليه‌السلام عن ذاته "و وضع نفسه و صار طائعا حت الموت أی موت الصليب" (فيليبی ٢: ٨) و هكذا بإنسانيته المبذولة، المعطاة، أعطی البشرية الدواء الشافی لداء الأنانية الذی فصلها عن الله".[٣٦]

---

٣٦. كوستی بَنْدلی (و مجموعة من المؤلفين)، *مدخل الی العقيدة المسيحية*، صص ١٣٧ – ١٣٩.

فهرس المصادر

أ. المصادر العربية

١. ***الكتاب المقدّس***.

٢. بَنْدلى، كوستى، (و مجموعة من المؤلفين)، ***مدخل الى العقيدة المسيحية***، بيروت، منشورات النور،١٩٨٢م.

٣. الحداد، يوسف درة، ***الإنجيل فى القرآن***، بيروت، منشورات المكتبة البولسية، ١٩٩٣م.

٤. ميشال اليسوعى، الأب توماس، ***مدخل الى العقيدة المسيحية*** (ترجمة: الأب كميل حشيمة اليسوعى)، بيروت، دار المشرق، ١٩٩٥م.

بـ . المصادر الإنكليزية

1. Brantl ,George , ***Catholicism*** , George Braziller publishing company , New York , 1962.
2. ***The Columbia encyclopedia*** , Columbia university press , New York & London.
3. ***The Encyclopedia of religion***, Macmillan publishing company , London , 1986.
4. Grath ,Alister E.Mc , ***Christian theology an introduction*** , BlackWell publishers , Londen , 1999.
5. ***The international standard bible encyclopedia*** , William B.erdmans publishing company.
6. ***New catholic encyclopedia*** , Gale publishing company.
7. ***The new encyclopedia Britannica*** , Encyclopedia britanica Inc , Chicago , 1995.